قصة قصيرة

نـــــدى

محمد ياسين مكي

— مقدمة —

العمر : اربع سنوات واحيانا عشرون سنة .

الصفـــات :

عيناها : مخيما لاحشين وقت الجوع والعطش.

شفتاها : مشققتان كارض اربحا البور

شعرها : آثار شلال جاف على سفح حبل التجربة . وايضا كشجرة ليمون ضعيفة في بيارة حف ماؤها .

— ١ —

امسكت ندى باطلس الجغرافيا الكبير الذي يملكه اخوها ، تصفحته قليلا ونظرت الى خارطة بلاد العرب ، وضعت اصبعها الصغير تتلمس المدن والعواصم ، تنهدت قليلا قائلة لنفسها :

— صديقتي وفاء في الشام .. لن اراها هذا الصيف .. وصديقتي نجاة من العراق هذا يعني انني لا استطيع رؤيتها الا في الشتاء ، وسماح لن تحضر من لبنان الا في الربيع .. وعتاب وخديجة تسكنان في الاردن وقطر .. ولكن كيف ساراهن جميعا في وقت واحد ؟

تذكرت ندى ما قاله اخوها عن هذا السبب ، وهو الخطوط الحمراء المرسومة بين بلدانهن ، لم تكمل حديثها لنفسها ، امسكت بالمحاية لتمحي الخطوط الحمراء وصاحت بفرح :

— ساراهن الان جميعا في وقت واحد .

— ٢ —

جاءت الزيتونة تشكو امرها لندى ممسكة بيد جارتها التينة قائلة

— لقد اصفرت اوراقي يا ندى .

وقالت التينة — وانا ايضا .

وحط عصفور ، كان صامتا في السماء ، على كتف ندى وقال :

— لم اجد القمح وانا اتطير من الجوع .

ومن تحت قدميها تفوهت الارض وصاحت هي الاخرى :

— عطشت وتشققت .

امسكت ندى الفاس بيديها الصغيرتين تحرث الارض لتخضر الزيتونة وحارتها التينة ويغرد العصفور كما اعتاد . ومن عرق جبينها كانت انهارا تروى الارض العطشى .

— ٣ —

نامت الارض في قلب الوطن ، وهربت البرتقالة على ظهر الارض ، واستراح الفلاح على جذع البرتقاله واحتمت القطة في حضن الفلاح .

كانت ندى تراقبهم وهي تبتسم ولكن سرعان ما اختفت ابتسامتها عندما جاء الغريب يريد ان يسرق البرتقالة والارض . امسكت ندى "بفاس" صغيرة عبارة عن دميه اشترتها في العيد لتحرسهم من شره ولكنه تمكن من سرقة الارض والبرتقالة وما تزال ندى تطارد اللص الغريب حتى تمكنت من استرجاع الارض والبرتقالة وهي في العشرين من عمرها "بفاس" حقيقي .

— ٤ —

كانت ندى عائدة من المدرسة تحمل حقيبتها الصغيرة حين رات فلاحا يعمل بجهد متواصل . اقتربت منه وكان يضرب الارض بعموله ثلاث ضربات متتاليات ويخرج صوتا مع زفرته القوية ، استوقفته لتساله عما يقول وهو يعمل وبادرته قائلة :

— عمت مساء يا عم ..

— ومساؤك ايضا يا بنيّة اجابها وهو ينظر الى وجهها الصغير مبتسما .

— سمعتك يا عم كانك تحادث نفسك .. ترى ماذا كنت تقول وانت تعمل ؟ .

اجاب : — كنت اقول مع كل ضربة حرفا ، الضربة الاولى حرف الالف والثانية حرف الراء والثالثة حرف الضاد ، تناولت ندى دفترها من حقيبتها ودونت ما قال الفلاح وفهمت ما يعنيه . وفي طريقها الى البيت شاهدت عاملا يقوم بعمله وقالت لنفسها لعله ينطق باحرف الشين والعين والباء ، وتناولت دفترها ثانية وكتبت هي ايضا و ـ ط ـ ن ولم تكمل الحرف الاخير حتى فاجاها احد الغرباء . وعندما قرأ هذه الاحرف حاول ان يخنقها كي لا تصل الاحرف الى حلقها ، ولكنها ابتسمت في وجهه بهدوء وحين تركها ضحكت باعلى صوتها وقالت له :

— لقد وصلت هذه الاحرف الى قلبي .. وعقلي .

انطلقت ندى تركض خارج البيت لتشترى الوان رسم ، ولكنها توقفت فجأة عند شجرة الزيتون المقابلة لبيتهم ، قطفت غصنا صغيرا وحملته معها ، تابعت سيرها حتى وصلت تل الزعتر ، اخذت قليلا من ترابه ، ومدت يدها عاليا وقطفت شعاعا من الشمس ، ثم عادت الى البيت ، لم تكد تضع غصن الزيتون الاخضر وشعاع الشمس الابيض ، وتراب الارض الاحمر حتى جاءت امها ، فتذكرت ندى شيئا وقالت لامها بأن تحضر لها قطعة من ثوبها الاسود ، تعجبت الام منها واحضرت لها ما طلبت ، رتبت ندى هذه الاشياء ، ولكن امها لم تفهم شيئا فسالتها :

— ما هذا يا ندى ؟

اجابتها ندى هذا عنوان "بيتنا" يا امي ، نحبه وندافع عنـــه .

وقفة

بقلم : ابراهيم جوهر

كعادته في رصد الدعاية والتشويق الاعلاميين لاى من قرار برنامجه لاحدى الليالي ، رصد التلفزيون الاردني لبرنامجه الثقافي الذي قدمه قبل اسبوع . عنوان البرنامج الرئيسي "الادب العربي في العام الدولي للطفل" . اما العنوان الثانوي فهو "حكايات فلكلورية للاطفال من تراثنا" .

عنوانان ، ولا شك ، يحفزان الاهتمام ويشدان على المتابعة . ولكن الحديث الذي جرى من خلال البرنامج مع القاص فخري قعوار والكاتبة روضة الهدهد لم يتطرق للادب العربي الا سؤال واحد هو : حسب اطلاعكما ، اين يوجد ادب للاطفال في الدول العربية ؟ ومن هذا السؤال عمم التلفزيون على الحديث حتى بداه بالعنوان الخادع المذكور سابقا . والسؤال بحد ذاته ليس له معنى .

نتابع البرنامج لنطلع على بعض هموم الحركة الادبية في الاردن ، حيث دور النشر معدومة ورابطة الكتاب هي التي تقوم بنشر الكتب بالتعاون مع وزارة الثقافة ، وكذلك عدم دعم الحكومة للكتاب اسوة ببعض الدول العربية وارتفاع اجور النقل على الكتب في مؤسسة عالية الملكية ، وهنا تتدخل مقدمة البرنامج لتدافع عن الحكومة ..

وحول سؤال : ايهما اصعب الكتابة للكبار ام للصغار ؟ يجيب فخري قعوار ويؤكد حقيقة ان الكتابة للصغار هي اصعب منها للكبار لعدة اسباب . وتختتم روضة الهدهد البرنامج باقتراح عملي هو ضرورة عمل ندوة يشارك فيها الاطفال حول ما يكتب لهم ليبدون اقتراحاتهم وانتقاداتهم فيه وذلك بعد تجربة ميدانية عملية قامت بها هي نفسها اثناء كتابتها لمجموعتها التي تتحدث عن تاريخ عز الدين القسام بعنوان "حكايات بطولية للاطفال في احراج يعبد" .

يبقى "البرنامج الثقافي" على ما فيه من بريق في العنوان وخداع في المضمون وقلة الاسئلة التي يتعطش لها اى كاتب او قارئ وهذا "السلق" السريع في التقديم ومعالجة القضايا في غير تأن ولا موضوعية والبخل الزمني من التلفزيون ، يبقى مربا بسيطا لنا للاطلاع على بعض مناحي الحياة الثقافية في الاردن . ولكن لماذا هذا التضليل الاعلامي ؟ فالعنوان الذي قدم للبرنامج فضفاض جدا وشامل جدا والذي حصل ان علاقة العنوان بالموضوع كانت كالبنطال الطويل الواسع اذا البسناه لطفل صغير حيث يشوهه ولا يبدو الطفل كبيرا كما اعتقدنا .. فاين التطرق للادب العربي سوى بالسؤال السريع عن "ارقى" ادب للاطفال في البلدان العربية؟ حيث كانت الاجابة هي فقط بتعداد اسماء معينة سوريا ، لبنان ، مصر وتونس مؤخرا .

ان في اختيار العنوان اللائق ذوقا فنيا دون ريب . فالعنوان يجب ان يعبر عن المضمون ويحوي في طياته التشويق والحث على اكتشاف الغامض المجهول وهو بشه بذلك الاشارة التي توضع في بداية الطريق التدلك على الطريق ذاتها وترشدك كي لا تتعرض للخطر .. وهذه المشكلة "ازمة العنوان" ان اجاز لنا تسميتها هكذا — ليست قصرا على هذا البرنامج وحده ، بل امتدت لتشمل بعض كتاباتنا هنا في الداخل . فكثير من الانتاج الادبي المنشور تنطبق عليه "ازمة العنوان" سالفة الذكر . فهل سيتجاوزها التلفزيون سريعا ام انه لا بد من تجاوز اشياء اعمق واهم ؟ اما نحن هنا فسنتجاوز كل ما لا يصلح لاننا نبغي الحياة الكريمة بكل وجوهها وارقى مستوياتها .

أخبار ثقافية

"تطور الفكر الاقتصادي والاجتماعي عبر العصور"

× صدر عن "الشركة التونسية للتوزيع" كتاب : "تطور الفكر الاقتصادي والاجتماعي عبر العصور" مع ملحق عبارة عن "بحث سوسيولوجي بعنوان "موقف الفكر العلمي من ظواهر التخلف في الوطن العربي" تاليف الدكتور محمود عبد المولى .

وقد اختصر المؤلف هدف هذا الكتاب وموضوعه في قوله في المقدمة : بل ان الهدف الاساسي من هذا التاليف هو اثارة الوعي العلمي والنقدي في المجتمع . وانطلاقا من هذا المنطق التزمنا نظرية (القيمة — العمل) وقدمناها على نظرية (القيمة — المنفعة) لان الاولى هي اكثر شمولا وعدالة من الثانية ، وهي سلاح علمي ونضالي فعال في ايدى الكادحين يدويين كانوا ام ذهنيين .

والكتاب رغم انه لم يتجاوز ١٩٨ صفحة فانه اختصر واختزل وضغط كثيرا من المواضيع الهامة بالنسبة للمثقف العربي .

من مباحث الكتاب : "قضايا ومفاهيم" ، "الاقتصاد الاجتماعي" "مناهج البحث في علم الاقتصاد" "المذاهب والانظمة الاقتصادية والاجتماعية" ، "خاصيات النظم الاقتصادية الحديثة" ، "تطور الفكر الاقتصادي والاجتماعي منذ القديم الى اليوم من افلاطون الى ماركال" اما الملحق فهو يقصر معنى التخلف على الاقتصاد فقط ويعرض لاهم النظريات التقدمية كنظرية سمير امين في المركز والدائرة ، ولكنه يحسم الجدل بموقف عام والملخص وهو ان التخلف ممكن وعيه بالارادة الثورية والتحكم فيه ثم تحويلـــه .

كتاب جدير بالقراءة

الحرب في بر مصر

بقلم يوسف الطميزي

صدر عن منشورات صلاح الدين بالقدس ضمن برنامجها الفصلي الثاني كتاب قيم للروائي المصري التقدمي يوسف القعيد هو كتاب "الحرب في بر مصر" فالكتاب يكشف ويعرى النظام المصري ويكشف توجهاته اليمينية وافقاره للشعب المصري ونبذ جماهير الريف واعادة الاقطاع الى حاله قبل سنة ٥٤ اى زمن الملك فاروق وقصة الرواية باختصار هي :

قصة عمدة في ريف مصر يبدو فرحا جدا ويعمل عرس ضخم والمناسبة هي عودة الاراضي — التي تم توزيعها على الفلاحين في الاصلاح الزراعي سنة ١٩٥٤ الذي قام به الجيش "كذا" — اليه بقرار من المحكمة وستتولى الشرطة اعادة الارض اليه وطرد الفلاحين عنها الذين ظنوا في اول الامر ان العملية مجرد تغيير — العمدة — يريد ارضه "كذا" بدون اى مستاجر . وقراءة بسيطة لما يحدث بعد ذلك يشعر الانسان ان الاقطاع بكل سواده وظلمه الطويل وليله الحالك يعود الى مصر على يد النظام الموالي للامبريالية والسائر في ركابها وما السياسة الخارجية الا انعكاس للداخلية . المهم تاتي ازمة التجنيد فابن العمدة رقم سبعة سيرسل الى الجيش حسب قوانين التجنيد الاجبارى ولكن الولد "جاهل" صغير وامه هي الاخيرة من النساء في جهته — ولذا فابن اغلى زوجة لن يذهب . والحل — يذهب العمدة الى "متعهد" يحل ازمات التجنيد والمجندين فيتفقان مع ضابط القسم على خطة جهنمية تتلخص في البحث عن بديل مولود مع ابن العمده في نفس اليوم ليذهب باسم ابن العمدة . المهم ان المتعهد يقول للعمدة "بالفلوس تقدر تعمل كل اللي انت عايزه . معاك بتسوى مافيش معاك بتتداس بالاقدام ويبحث العمدة عن البديل ويكون ولد اسمه "مصرى" ابن لخفير بين خمس بنات ، لهذا فهو معفى من التجنيد ومقابل ابقاء الخفير على ارضه "ارض العمدة حسب رأى النظام يذهب مصرى بدل "الدلوعة" ابن العمدة وثاني ايام حرب اكتوبر يستشهد مصرى ويحملونه الى القرية ليجدون الشهيد حسب الاوراق الرسمية حيا يرزق . يذهل الضابط الموكل بتسليم الجثة ويتجه الى مركز البوليس ومعه كل الاهالي وهم يلعنون العمدة والنظام ويضجون من جرائمه ويبدأ المحقق في التحقيق ويصل الى القصة بكل بساطة ويعتقل ابن العمدة لكي يحبره على الاعتراف بجريمته ولكن العمدة لا يعترف وفجأة يقابل المحقق مسؤول كبير ويامره المسؤول باعتبار الامر منتهيا واغلاق التحقيق وانهاء .. وهكذا يتدخل النظام بحجة ان التحقيق ضد المصلحة الوطنية واحنا في حالة حرب على راى المسؤول الكبير . ويطالب العمدة بوقاحة بكل تعويضات الشهيد ويحصل عليها ايضا ---...

هذه هي القصة باختصار شديد ولكن نظرة عميقة في ثنايا القصة تجعلك تقف امامها مفكرا وتستشف منها اشياء كثيرة . فالكاتب يضع حلولا فاصلة لمشاكل عويصة مثلا يتساءل الكاتب على لسان مصرى "لماذا نسلم الارض للعمدة يجب ان نرويها بدمنا ولا نرضخ" الحل هو الثورة . التمرد .. وليس الرضوخ لان الركوع سيؤدى الى السجود فالاستجداء . ويرينا عمليا صدق هذه المقولة . فقد قبلوا بتسليم الارض فسرق العمدة منهم كل غال ونفيس بعد الارض . فان فقد اى شيء بعد الارض لا يساويها وقد صدق من قال "من لا ارض له لا عرض له" فالارض اهم من كل شيء ويجب ان يضحي الانسان من اجلها بكل شيء .

نقرأ في القصة مفهوم العمدة عن الريف . يقول العمدة : "كان والدى يقول : الناس عندنا في ريف مصر نوعين : — اولاد الكلاب وهم الذين يفلحون ويعملون ويحرسون ويدافعون عن سادتهم واولاد الناس وهم الذين يملكون الارض والمال وهم الذين لهم "الثور والقول" . ويتابع : كان النظام السابق يهتم بالاولاد "الكلاب" واما الحالي فيهتم باولاد الناس لانه نظام ابن ناس !!" .

عمدة بهذه المفاهيم هو الذى يحكم ويتحكم في الناس ، هذه هي المصيبة الكبرى .

ويتطرق الكاتب الى قصة حب الوطن فيقول على لسان العمدة : كلنا يحب مصر . ابي شارك في ثورة ١٩ وجدى شارك في ثورة عرابي باشا واما ان يذهب "الدلوعة" ابنه الصغير للتجنيد فهذا غير ممكن لاسباب داخلية ، فزوجته الاخيرة اغلى زوجاته واولاد الاخريات لم يذهبوا الى التجنيد فكيف يذهب "الدلوعه" ؟! ثم ان هناك الكثير من ابناء الكلاب الذين يتمنون ان يقبلوا يدى فلماذا لا امنحهم هذا الشرف العظيم ولماذا لا امنحهم شرف تقديم خدمة لي . يجب ان يقبلوا قدمي ايضا اذا سمحت لهم ان يقبلوا يدى فانا ابن ناس" .

هذا شيء ما عن الكتاب ويظل الكتاب هو البحر فيجب ان نقراه ونكتشف فيه الكثير الكثير فليقراه كل انسان .